مراجعة النفس وتزكيتها في بداية العام



مناسبة رأس السنة لو أردنا تحليلها ووعيها في عمقها، لرأينا أنسها تعني في الحقيقة خسارة الإنسان لسنة من عمره، يصبح معها الإنسان أقرب لأن يغادر هذه الحياة، وأن يقف بين يدي ربسه ليواجه مسؤوليسّته، حين يأتي النداء: (وَقِفُوهُمْ إِنسَّهُمْ مَسْئُولُولُونَ) (الصافات/ 24)، مسؤوليسّته، حين يأتي النداء: (وَقِفُوهُمْ عَبَثا ً وَأَنسَّكُمْ إِلَيَيْنَا لا تَرُرْجَعُونَ) (العافات/ 24)، (أَ فَحَسِبْتُمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثا ً وَأَنسَّكُمْ إِلَيَيْنَا لا تَرُرْجَعُونَ) (النحل/ 111)، (المؤمنون/ 115)، (يرَوْمَ تَأْثِيكُلُّ أُمُسَّةٍ تُدُدْعَى إِلَى عَنِ نَنْ نَفْسِهِا) (الجاثية/ 28). نعم، (وَتَرَى كُلُّ أُمُسَّةٍ تَكُلُّ أُمُسَّةٍ تُدُدْعَى إِلَى كَيِتَابِهِا) (الجاثية/ 28). نعم، الفرح أمرا ً طبيعيا ً ومفهوما ً، وندعو إليه عند الذين أحسنوا في السنة الماضية وقاموا بأعمال جليلة، ولم يرتكبوا فيها أعمالا ً سيسِيئة أو معاصي صغيرة أو كبيرة، وإن قاموا بها سارعوا إلى محوها بالتوبة وبالأعمال الصالحة، أو عند الذين يقبلون على سنة جديدة بعد أن خطسطوا لها جيسّيدا ً على مستوى الدّين نيا وعلى مستوى الآخرة، حتى تكون السنة القادمة مليئة ً بالخير، ومضمونة في نتائجها الإيجابية عند ال وأفضل من سابقتها؛ ولكن هذا ليس حال الكثيرين من الذين فرسطوا في أعمال ما من ما من من دون مراجعة حساباتهم، ومن دون أن يخطسهم، فلم يستفيدوا منه بأعمال الخير، حيث يمرسّ العام عليهم من دون مراجعة حساباتهم، ومن دون أن يخطسطوا بعد لمستقبلهم.

فرأس السنة في واقعها، وكما ينبغي أن نتعامل معها، لابد من أن تكون هي واحدة من محطات المراجعة المطلوبة من الإنسان دائما ً، حتى لا يتيه في الحياة، ولا يضي بع الطريق الصحيح، ولا يبتعد عماً يدعو به ا في كل يوم، عندما يقول في صلاته: (اه د َنا الص ّر َاطَ ال م ُس ْت َق َيم * حر َاطَ السّ َذ َين َ أَن ْع َم ْت َ ع َلاَ ي ْه َم ْ غ َي ْر َ ال ه م َغ ْه ُوب َ ع َلا ي ه َم ْ و َ لا الضّ السّ َين َ) (الحمد السّ َذ ين َ أَن ْع َم ْت َ ع َلا َي ْه َم ْ غ َي ْر َ ال مشر عا ً على الرياح الآتية إليه من كل صوب، والأخطار المحدقة به، مما يحيط به من خارجه من أجواء تريد أن تدفعه إلى مهاوي الانحراف، أو من داخله، حيث الشيطان الذي يوسوس له في نفسه الأمارة بالسوء، أو يثير أهواءه وشهواته بعيدا ً من الإيمان والأخلاق. إن محاسبة النفس عنوان ٌ من عناوين شخصية المؤمن الملتزم، فلا تكاد تمر للحظة أو مناسبة أو موقف، إلا ويتحر لله في سبيل محاسبة نفسه، هل أخطأ أم أصاب؟ كثير من الناس تستهويهم الد ُ سنا وما فيها من متاع، فيستغرقون فيها في البحث عن كل ّ المتاع والمظاهر، ويعيشون بالتالي الغفلة عن محاسبة النفس متاع، في مقاسبة النفس متاع، في البحث عن كل ّ المتاع والمظاهر، ويعيشون بالتالي الغفلة عن محاسبة النفس

ومراجعتها، وتصويب ما فيها من ثغرات مضعف إرادة الإنسان، وتسقط حر يته ووجوده أمام سطوة المال والجاه والمنصب والمال والأولاد. وفي الحديث الشريف: «م َن عرف نفسه فقد عرف ربّه»، فمن ينتبه إلى تركيب النفس والجسد من عظمة ودقّة، ويعرف خصائص ذلك كلّه، يعرف الربّ َ العظيم الذي وهب للإنسان كلّ َ ما يلزم في حياته.. ومن هنا، يدرك المرء أهميّة الالتفات إلى النفس، ليرى ما فيها من ضعف واعوجاج، ومن حسد ٍ أو غلّ ٍ أو حقد ٍ أو أمراض ٍ نفسية أ ُخرى، فيعمد إلى معالجتها، ويعمل على مراقبة نفسه.

م َن يحاسب نفسه لا يغضب ربّه، بل يلتزم بمراقبة نفسه في كلّ حركة وتصرّف، ويرتبط با □ على الدوام، فلا يقد ّ م رجلا ً ولا يؤخ ّ ر أ ُخرى، إ ّلا ويحسب حساب ا □ في كلّ نلك، فيعمد إلى زرع المحبّة بين الناس، ويزرع الإحسان والبر ّ َ في قوله، فلا يقول إ ّلا خيرا ً، ولا يقف إ ّلا موقف الحق ّ، فيواجه الظلم والظالمين، ويخلص في عبادته لربّه، فلا يشرك به أحدا ً، ويعيش التذك ّر على الدوام، ويلهج بذكر ا □ على الدوام، فلا ينسى ا □ في شيء، وكما يقول ا □ تعالى: (و َ لا ت َك ُون ُوا ك َ ال ّ ن َ ن س ُوا ا ن ف أ ن س َاه ُم ° أ ن ن ُ س َه مُ م °) (الحشر/ 19). إن ّ محاسبة النفس تعتبر قو ّة دفع معنوية وروحية وأخلاقية للإنسان، ليعيد ترتيب حساباته مع نفسه ومع ربته ومع محيطه، بما ينسجم مع روح الإيمان والالتزام. وكم نحتاج اليوم، وفي كل ّ يوم ٍ ، إلى محاسبة النفوس، كي نعيد الاستقامة الفعلية إلى ربوع علاقاتنا وحياتنا، ويعود الجميع إلى إحياء ذكر ا □ وعدم تكرار الأخطاء، كي نعز ّز واقعنا، ونبعد عنه الفوضي والباطل والفساد.